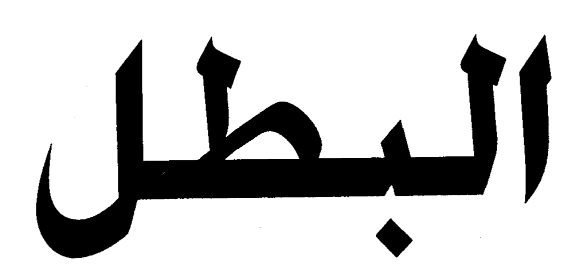


تأليـــف

د/ حسام العقاد

رسوم

عطية الزهيرى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

غادر الأب عمله، وسار فى طريق منزله، وهو يفكر فى هدية مناسبة لابنه وليد، لقد وعده بهدية ثمينة إذا نجح بتفوق فى امتحانات نهاية الشهر المدرسية، وتوقف أمام محل ساعات، واشترى ساعة أنيقة وهو يفكر أنها أفضل هدية لوليد، ستعينه الساعة حتما على تنظيم وقته، والمزيد من التفوق والنجاح..

وعاد إلى منزله، ودخله وهو يقول فى سره: «**اللهم إنى أسألك خير المولج، وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا**»[1].

وارتفع صوته قائلا: السلام عليكم.. وليد.. أين أنت؟

ولم يتلق إجابة، بل سمع صوت بكاء ونحيب يصدر من غرفة طفله الوحيد، فاستشعر قلقا شديدا، وأسرع إليها، وطرق الباب وهو يقول: وليد .. وليد..

وفتح وليد الباب وهو يبكى فى حزن شديد، فاحتضنه الأب وهو يسأله فى قلق:

ـ ما بك يا وليد؟ علام البكاء؟

وضع وليد وجهه بين راحتيه، وقال: حدث شىء فظيع يا أبى..

---
(١) دعاء دخول المنزل.



وعاد إلى البكاء، فسأله الأب وقلقه يزداد: ماذا حدث؟ تكلم يا وليد.

قال وليد وهو يبكى: صديقى مسعد.. أتعرفه يا أبى؟. لقد ارتكبت فى حقه غلطة جسيمة.

جلس الأب بجواره على الفراش، وقال وهو يربت على كتفه فى حب وحنان:

- اهدأ يا وليد.. ثم قص علىّ ما حدث.

جفف وليد دموعه، وقال فى صوت حزين:

- مسعد زميلى فى المدرسة.. إنى أحبه يا أبى.. رغم أنه منذ أن تعرفت عليه فى بداية العام لا يذكر لى أى شىء عن حياته..حتى عنوان منزله يرفض أن يذكره لى.. أو لأى زميل آخر.. لقد تغيب مسعد ثلاثة أيام متتالية عن الحضور إلى المدرسة.. وشعرت بالقلق عليه.. وقررت أن أذهب لزياته..فربما كان مريضا..أو يمر بمحنة..ومن واجب الصديق أن يسأل على صديقه ويساعده فى محنته، ولكن قابلتنى مشكلة..هى عنوانه..إنى لاأعرف عنوانه..

وسكت وليد ليلتقط أنفاسه اللاهثة، ورمقه الأب فى اهتمام، فاستطرد قائلا:

- ذهبت لإدارة المدرسة، وحصلت على عنوانه، وذهبت إليه، وفوجئت هناك بما لم يخطر لى على بال قط.. بالسر الذى كان مسعد يحاول أن يخفيه عنا منذ بداية العام



الدراسى وانضمامه إلينا.

وارتجف وليد، واضطربت كلماته وهو يقول:

ـ هل سمعت يا أبى عن لص خطير يدعى عدلى فراج؟

قطب الأب محاولا أن يتذكر، ثم قال: آه.. تذكرت.. إنه لص خطير.. تحدثت الصحف عنه أخيرا.. بمناسبة الإفراج عنه.. لقد أعلن توبته.. وقرر أن يعيش شريفا.. لماذا تسألنى عنه يا وليد؟

قال وليد فى أسى: لأن عدلى فراج هو والد مسعد!

وران الصمت، وامتلأت عينا وليد بالدموع، وهو يقول:

ـ كان مسعد يخشى أن نعرف حقيقة والده، ونبتعد عنه بسببها، كان يكره أن نرى مدى الفقر الذى يعيش فيه بعد أن أعاد والده كل ما سرقه ونهبه لضحاياه ليعلن توبته.

سأله الأب: إنك لم تخبرنى بعد لماذا تغيب مسعد عن المدرسة ثلاثة أيام؟

أجاب وليد: لأن الشرطة ألقت القبض على والده مرة أخرى ولكنه هرب، وهو مطارد الآن.

واقترب من والده وقال فى حزن: أبى، لقد أخطأت.. لقد عدت لأصحابى ورويت لهم ما حدث.. ومن يومها ومسعد لا يستطيع أن يواجهنا.. إنه قرر أن يترك المدرسة بعد أن عرفنا حقيقته.. لقد أخطأت عندما بحت لأصحابى بما عرفته عن مسعد.



صاح الأب مستنكرا: أنت يا وليد.. أنت تغتاب زميلك.. ألا تعرف أى جرم عظيم ارتكبته.

قال وليد: أنا لم أغتبه، أنا لم أذكر سوى الحقيقة فقط.

قال الأب: إنك لا تعرف ما هى الغيبة، ولكنى سأشرحها لك كما علمها لنا النبى ﷺ عندما سأله رجل: ما الغيبة يا رسول الله؟

قال رسول الله ﷺ: «**ذكرك أخاك بما يكره**».

قال الرجل: أرأيت يارسول اللهإن كان فى أخى ما أقول؟

قال رسول الله ﷺ: «**إن كان فى أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»[1].

يا وليد، لو ذكرت أخاك المسلم بما يكره، سواء بعيب فى جسمه، أو بصفة لا يستطيع التخلص منها، أو بموقف يسيىء إليه، أو حاولت الإشارة إلى عيب من عيوبه، أو حقيقة يكرهها كالفقر أو المرض، سواء كان ذلك كلاما أم إشارة أم مجرد رمز بعينك، كل هذا هو الغيبة.

أما إذا ذكرت أخاك بشىء ليس فيه، فقد بهته، أى افتريت عليه بكذب عظيم اذن فالغيبة هى أن تذكر مسلما بسوء حتى وإن كان فيه، أو تتحدث عنه حديثا يكرهه.. هل فهمت يا وليد؟

أطرق وليد برأسه خجلا وحزنا، فقال الأب: لترى معى

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٨٩).



كيف شبه الله سبحانه وتعالى الغيبة فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**﴾(١).

فالله عز وجل ينهانا عن الغيبة، ويصور الذى يقع فى الغيبة، كأنه يأكل لحم أخيه الميت، فمن يقدر على ذلك؟ من تطاوعه نفسه على أن يأكل لحم أخيه الميت؟.. لذلك لابد أن نكره الغيبة ونحذر منها أشد الحذر.

وللمغتاب عقاب فى الدنيا، وعقاب فى الآخرة.

سأله وليد: ما هو عقابه فى الدنيا؟

أجاب الأب: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه وإن فى سترة بيتة**»(٢).

فالنبى ﷺ يبين لنا أن الغيبة من صفات المنافقين الذين آمنوا بلسانهم وليس بقلوبهم، فهم يتتبعون عورات إخوانهم فيتحسسون عليهم ليكشفوا عيوبهم ويعلنوا للناس ما يكرهوا وجزاء من يفعل ذلك أن الله جل جلاله يفضحه فى الدنيا.

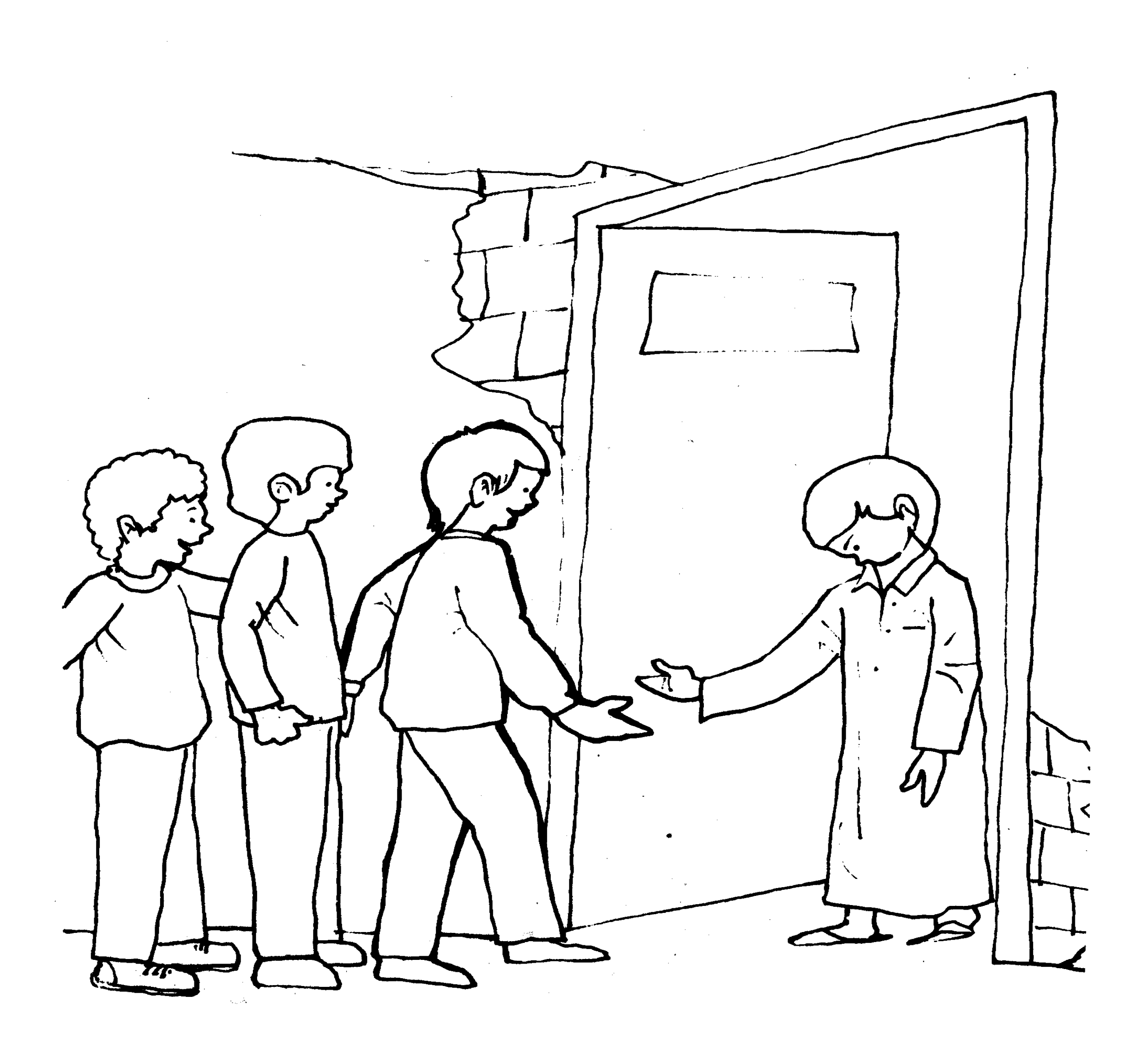
أما فى الآخرة فله عقاب آخر.

سأله وليد: ما هو؟

---

(١) سوة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠، ٤٢١).



أجاب الأب: فى حديث الإسراء والمعراج، يقول النبى ﷺ: «**لما عُرِج بى، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، قلت لجبريل: من هؤلاء يا جبريل؟**

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»(١).

فجزاء المغتاب فى الآخرة هو العذاب الأليم، فيجعل الله أظفاره من نحاس، ويأمره أن يخدش بها وجهه وصدره.

فهل تحب أن تلقى هذا المصير يا وليد؟

سالت دموع وليد، وقال وهو يبكى: أستغفر الله العظيم.. إنى نادم على ما فعلت ندما شديدا.

قال الأب: إذن لابد أن تحاول إصلاحه.

سأله وليد فى لهفة: كيف؟

أجاب الأب: تذهب مع أصحابك إلى مسعد، وتقفوا بجواره فى محنته، حتى لا يترك الدراسة، وقد يضل الطريق وينحرف بسبب خجله منكم ومن حقيقته، أفهموه أن المسلم لابد أن يساعد أخاه فى محنته، ولا تحاولوا أن تذكروه أبدا بما يكره.

قال وليد فى حماس شديد: سأفعل ما تقول يا أبى.. إنى ذاهب الآن.

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤)


سترك
يارب

قال الأب: فى حفظ الله.

وجمع وليد أصحابه، وذهبوا إلى منزل مسعد، واستقبلهم بحزن شديد، ودعاهم إلى الدخول، وجلس بينهم صامتا، فقال وليد فى رفق:

- لقد أحضرنا إليك يا مسعد الدروس التى فاتتك فى المدرسة.

نظر إليه مسعد فى شرود، ولم يجب، فعاد وليد يقول فى ود:

- سنمر غدا لنأخذك معنا إلى المدرسة. كلنا نحبك يا مسعد.

قال مسعد فى إصرار: لا، لن أعود قبل أن يظهر أبى.

تبادل وليد ورفاقه نظرات حائرة، فقال مسعد فى صوت حزين:

- عاهدنى أبى على التوبة، عاهدنى أن يرفع رأسى أمام أصحابى، ولا أدرى لم نكث عهده وعاد للجريمة؟ لماذا هرب؟ إنى واثق أنه برىء.

قال وليد محاولا إقناعه: وحتى تظهر براءته لابد أن تعود إلى المدرسة، إننا جميعا نحبك ونريد أن..

قاطعه مسعد فى إصرار: لا .. لا.. لن أعود..

وبدأ يبكى، وهم يحاولون تهدئته، وسمعوا طرقا على



الباب، ففتح وليد، ليجد رجل شرطة يقول: أين مسعد؟

صاح مسعد فى مرارة: هل وجدتم أبى؟

أجاب رجل الشرطة وهو يبتسم: أجل.. وجدناه.. إنه بطل يا مسعد.. ومن حقك أن تفخر به الآن.

صاح مسعد فى دهشة: بطل!!.. كيف؟

أجاب رجل الشرطة: إن القبض عليه وهروبه لم يكن سوى خدعة، للإيقاع بعصابة خطيرة، لقد مثّل والدك أنه هرب منا لينضم إليهم، ويرشدنا إلى وكرهم، ستكتب الصحف التفاصيل، وسيكرمه وزير الداخلية بنفسه..

صاح مسعد وهو يبكى: أبى.. أبى.. الحمد لله..

ودخل والده، فأسرع مسعد إليه، وارتمى فى أحضانه وهو يبكى ويقول:

- الحمد لله.. الحمد لله..

ربت رجل الشرطة على كتف مسعد وهو يقول:

- من حقك أن تفخر بوالدك الآن.. فقد قدم إلينا خدمة عظيمة.. وخلصنا من عصابة خطيرة جدا.. إنه..

وشعر مسعد بسعادة لاحدود لها، ورجل الشرطة يردف:

- إنه بطل.

تمت بحمد الله